Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ينتزع منه أرضه وشرفه، ولكن إنسانيته هي التي تجعله أشد ضراوة في مواجهة عدوه، دفاعاً عن الدرب الصاعد من منزله، وعن الصفصاف الملتف على وجه الترعة.

ومن هنا ندرك أن «أنا» حجازي في هذه القصيدة هي «أنا» إنسانية، وأن الحديث عن أخيه محمد يغدو حديثاً عن كل الناس، وأن محمداً ليس إلا رمزاً لكل المقهورين من أبناء جنسه. إننا في هذه القصيدة، لسنا أمام ولادة محمد الفرد، ولا أمام ضياعه وحزنه وجوعه وأحلامه حسب، وإنما نحن أمام ولادة الجوع الجماعي، والظلم، والتشرد، واستلاب الأرض، والغربة، وفقدان الذات. والشاعر حين يستحلف أخاه بإخوتهما أو بأبيهما المحتضر الأشيب، فهو إنما يستحلفه بكل الآباء وبكل صور البؤس والشقاء وبكل صور الحب والجمال التي يعيشها كل فرد في المجتمع، وذلك حتى تكون الضربة قوية وموجعة[١٣].

لقد استطاعت هذه القصيدة، أن تحقق هذه الحركة الإنسانية الخالدة بما جمع لها الشاعر من خيوط إنسانية رفيعة، وبما اشتملت عليه من مستودع غزير للحزن الإنساني العام. لقد اجتمع لها البطل الإنسان البسيط، والتعبير البسيط الذي تشكّل ونما من داخل الحدث دون أن يتدنى الشاعر بمستوى أدائه الفني، بل ظلت قصيدته ثمرة هذا التركيب الاجتماعي الذي بطله الإنسان العادي في مواقفه وتعبيراته، واتجهت في خط سير يخدم الخير والحق والعدالة. وقد تحركت جميع عناصرها وارتبطت فيما بينها ارتباطاً وثيقاً، وانتشرت الرؤية الشعرية في كل جزء من أجزائها محققة أهم صفة من صفات الشعر وهي المتعة. فقد تحولت القصيدة بين يدي الشاعر المبدع -بعد أن صهرها، وأعاد تشكيلها- إلى كل فني موحد ومكتف بذاته.